وقفة في الدلالة الصرفية

أ.م.د.عادل محمد عبد الرحمن الشنـدام
جامعة بـغداد .كلية العلوم الإسلامية .قسم اللغة العربـية

المقدمة

الحمد لله نحمد ونستعينه ونشكره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له . واشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيه وحبيبة شهادة من آمن به واسلم .

بعد .. فقد حظي الدرس اللغوي عموما ، والدرس الصرفي خصوصا باهتمام علمـــاء العربية فأخذوه بالدرس والاهتمام حتى بجزيئات الموضوع ، فالمعروف إن لكل عصر سمته الخاصة، وطريقته في التفكير وزاويته التي ينظر من خلالها إلى الحياة عامة وأسلوبه الخاص في التعامل مع القضايا العلمية والفكرية . وفي مقدمتها القضايا اللغوية .

فإن سمة هذا العصر في الدراسات اللغوية ومعالجة قضاياها في نظرة شمولية بمعنى أنها

١. تنظر إلى اللغة على إنها ملك البشر عامة .

٢. ظر على أنها كيان قائم بذاته ، فلا يمكن الفصل بين اللفظ ومعناه ولا بين الصوت ووظيفته عن بقية الأصوات في كلمة واحدة .

تمثل الدراسات الصوتية الصرفية والنحوية والدلالية وحدة متكاملة غير قابلة للفـصل والتجزئة ونحن في هذا البحث نحاول دراسة موضوع من مواضيع اللغـة ، وهـو الدلالـة الصرفية وتأثير هذه الدراسة بالصوت اللغوي . ويشتمل على دراسة الوحـدات الـصرفية ، وأنواع المورفيمات ، والمورفيمات عند السعران ، والدلالة الصرفية عند الخليل وسيبويه وابن جني لنقف على جهد هؤلاء العلماء في هذا المجال من الدراسة وريادة الموضوع لديهم .

وأخيرًا سعيت في هذا البحث على إثبات أهمية دراسة الدلالـة الـصرفية ، وأهميـة الإلمام بكل جوانب الموضـوع حتى يتسنى للدارسين التـصدي لكـل الظـواهر الـصرفية والصوتية .

الوحدات الصرفية (المورفيمات)

ينبغي على الدارس لعلم الصرف أن يعتمد على دراسة الصوت اللغوي ، ويطلع على أحدث ما توصلت إليه النظريات الصوتية ، فيما يتعلق بالصوت المفرد ، والتركيب الصوتي ، لأن علم الصوت يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تحديد الوحدات الصرفية وبيان قيمتها[١] قال فيرث : (لا وجود لعلم الصرف دون علم الأصوات)[٢] . وعلى الذي يريد أن يتصدى لظواهر علم الصرف وعلم الصوت عليه أن يلم بأصغر الوحدات الصرفية والصوتية ، فاصغر الوحدات الصوتية : الفونيم ، وهو من مكونات المورفيم وقد عرفه اللغويون: بأنه اصغر صور كل صوت من الأصوات فعندما نقول: فونيم الراء نقصد بذلك كل الصور المختلفة التي ينطق بها صوت الراء ، وعندما نقول فونيم العين نقصد به الصور المختلفة التي ينطق بها صوت العين في مختلف المواضيع . أما أي صورة من صور الفونيم فقد أطلق عليها اللغويون مصطلح الألفون ، وهو صورة أو فرد من أفراد الفونيم[٣].

وللفونيم قيمة على مستوى التركيب[٤] وقد عربه الدكتور تمام حسان الى (الحرف)[٥]. فحينما نقول حرف الميم نقصد به صوت الميم بصوره المختلفة[٦] . وأنسب تعريب لمصطلح المورفيم الوحدة الصوتية ، لان الحرف له عدة معاني في اللغة العربية[٧] . أما أصغر وحدة صوتية فسميت مورفيم ، وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية (Morphe) التي تعني الشكل أو الصيغة ويقابلها في الانكليزية (Form) وقد حاول بعض اللغويين العرب ترجمة المورفيم إلى الصرفيم[٨] وقد أطلق الأستاذ الدواخلي والقصاص في ترجمتهما لكتاب (اللغة) لفندريس .

على المورفيم (دال النسبة)[٩] . ويمكننا أن نعد الوحدة الصرفية انسب تعريف للمورفيم[١٠] .

اختلف المحدثون في تعريف المورفيم ، والتعريف الذي يمكن الركون إليه : انه اصغر وحدة صرفية ذات معنى على مستوى التركيب[١١] واصغر وحدة في المورفيم تسمى الالمافورم[١٢] . وهو جزء المورفيم .

إن المورفيم قد يكون مقطعا وقد يكون جزءا منه ، وان المورفيم الواحد قد يشتمل على عدة مقاطع . وقد تكون الكلمة من مورفيم واحد فتكون اصغر وحدة صرفية مثل (رجل) ، وقد تكون من مورفيمين أو أكثر فلا تكون اصغر وحدة صرفية ، مثل : (شربت، رجلان ، تكتبون)[١٣] .

أنواع المورفيمات

اختلف المحدثون في أنواع المورفيمات وفي ضوء هذا الاختلاف سأعرض لاهم هذه التقسيمات وعلى النحو الآتي :

المورفيمات عند فندريس

قسم فندر يس الوحدات الصرفية المورفيمات على ثلاثة فصائل هي[١٤]

أ- الفصيلة الأولى: يكون فيها المورفيم او دال النسبة عنصر صوتي ــ (صوت أو مقطع أو عدة مقاطع ــ يشير إلى النسب النحوية التي تربط الأفكار الموجودة في الجملة بعضها ببعض .

وبعض المورفيمات التي تشمل علها هذه الفصيلة ليس لها وجود مستقل ، وتحتاج إلى جهد تحليلي لاكتشافها وتسمى الزوائد واللواحق . فالزوائد هي التي تسبق الجذر وارتباطها ارتباطا وثيقا مثل الياء في (يذهب). واللواحق هي التي تلحق بالجذر وترتبط به

ارتباطا وثيقا ، مثل تاء التأنيث في (ذهبت) . وهناك نوع آخر من الزيادات التي تطرأ على الجذر تسمى الأحشاء وهي زوائد داخل الجذر بين حروفه الصحيحة او المعتلة او ما تسمى (بالصوامت أو الصوائت)[١٥] .

ب- الفصيلة الثانية : يكون فيها المورفيم من طبيعة العناصر الصوتية الدالة على الماهية أو من ترتيبها ، وهذه الفصيلة تعد اكثر خفاء من الفصيلة الأولى ، وان كانت لا تقل عنها أهمية في اللغة .

ت- الفصيلة الثالثة : يكون فيها المورفيم من المكان الذي يحتله في الجملة كل واحد من دوال الماهية ، فقد يعد ترتيب الكلمات في بعض اللغات دالة نسبة (أي مورفيما)

المورفيمات عند السعران

منهج الدكتور محمود السعران في تقسيمه للوحدات الصرفية (المورفيمات) منهج فندريس مع شيء من التطبيق على العربية[١٦]. ورأى انها على ثلاثة أقسام[١٧].

أ- المورفيم الصوتي: هو عنصر او عناصر صوتية تحدد الكلمة اسما او فعلا، فالمورفيم الذي يحدد ان (ضربت) فعل مسند الى المفرد ، وصوت (ت) يمثل الغائبة .

ب- المورفيم الفمي : ويكون من طبيعة العناصر الصوتية المعبرة عن المعنى او التصور او الماهية او من ترتيبها .

ج- المورفيم المكاني : هو الموضع الذي يحتله كل عنصر من العناصر الدالة على المعنى في الجملة ، ففي العربية تدل حركة الاسم في الغالب على كونه فاعلا او مفعولا ، سواء تقدم أم تأخر .

أنواع أخرى من المورفيمات

المورفيم الحر والمورفيم المقيد

المورفيم الحر : يتألف من كلمة بعينها

المورفيم المقيد : الذي يظهر مع مورفيم آخر على الأقل ــ سواء أكان هذا المورفيم الآخر مقيدا مثله ام حرا ــ ففي كلمة (رجلين) (رجل) مورفيم حر و(ين) مورفيم مقيد جمعه مع المورفيم الحر (رجل) كلمة واحدة[١٨]

مورفيم أساسي ومورفيم ثانوي

المورفيم الأساسي : له صورة صوتية ، وقد يكون فونيما او مقطعا او كلمة أي ان الجذور كلها مورفيمات أساسية .

المورفيم الثانوي : لا يحتوي ــ هذا المورفيم ــ على صورة صوتية مائلة ، مثل النبر والتنغيم من انه جزءا من التركيب وله قيمة فيه[١٩]

مورفيم الصفر : الذي ليست له صورة صوتية واضحة ويعد ضمن المورفيم الثانوي. نحو قولنا (كتب) أي كتب هو ، فكتب فيها مورفيم الصفر ، وهو ضمير الغائب ، في مقابل (كتبا ، كتبوا ، كتبت) فهذه الصيغ تحتوي على صورة صوتية واضحة لمورفيمات الضمائر الواضحة[٢٠].

مورفيم المغايرة : هو المورفيم الحاصل من تبادل الأصوات الصائتة (الصوت أو الحرف المعتل) أو تغيرها . وقد ادخله الدكتور السعران ضمن المورفيم الضمني . مثل جمع التكسير (رجل ، رجال) ، والمبني للمجهول (قتل قتل) واسمي الفاعل والمفعول (معطي معطى)[٢١] .

مورفيم الأجزاء المتفرقة : الذي يحتوي على اكثر من مورفيم ، وقد يكون مؤلفا من جزئين متفرقين كما في اسم المفعول (مضروب) ، فجزئاه السابقان (الميم) ، والحشو (الواو) يكونان مورفيما واحد حول الجذر ضرب الى اسم المفعول[٢٢] .

مورفيم الموقعية : يمثل هذا المورفيم الموقع الذي يحتله في الجملة كل عنصر من العناصر اللغوية وهذا الموقع يحدد علاقة اللفظ بالألفاظ الأخرى في الجملة . نحو قولنا : (ضربت سلمى بشرى) علم دون عنت ان سلمى هي الضاربة وبشرى هي المضروبة[٢٣] .

مورفيم الإسناد : هو علاقة بين لفظين ، فالعلاقة بين الحصان والعربي في قولنا : (الحصان يجري) هي علاقة إسناد العربي إلى الحصان . والعلاقة بين الشجرة والأزهار في قولنا : (الشجرة مزهرة) هي إسناد الأزهار إلى الشجرة فالإسناد هو مورفيم ، ويضم الأنواع الآتية . مورفيم الإسناد الدال على الإثبات والدال على الأفراد والدال على الزمن والدال على التأنيث والدال على الخبرية[٢٤] .

البمورفيم اليتيم : الذي لا يحدث في كل اللغة إلا مرة واحدة في موقع واحد ولا يتكرر[٢٥] .

مورفيم الإعراب : هو الدال على المعنى الوظيفي للكلمة بالنظر لمعاني الكلمات التي تتكون منها الجملة[٢٦] .

الدلالة الصرفية

يعرف علم الدلالة : ((بأنه دراسة المعنى ، او العلم الذي يدرس المعنى ، او ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى ، او ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى او ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى))[٢٧] .

وللدلالة أنواع هي :

١- الدلالة الصوتية

٢- الدلالة الصرفية

٣- الدلالة النحوية

٤- الدلالة المعجمية او الاجتماعية[٢٨] .

وموضوع هذا البحث الدلالة الصرفية ، التي تعرف بأنها الدلالة المستمدة من الصيغ وبنيتها . وما يطرأ عليها من تغيرات تنعكس على دلالتها[٢٩] . او هي دراسة التركيب الصرفي لكلمات وبيان المعنى الذي تؤديه صيغها[٣٠] . وبعبارة أخرى تقوم هذه الدلالة على ما تؤديه الأوزان الصرفية والصيغ العربية وأبنيتها من معان[٣١] . فإذا وصف شخص معين بأنه (كذاب) يختلف بوصفه عن (كاذب) ، لان كلمة (كذاب) تزيد في دلالتها عن (كاذب) وتفيد المبالغة واستمدت هذه الدلالة من الصيغة المعينة التي جئ بها ، فاستعمال كلمة (كذاب) يمد السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصل اليه او يتصوره لو استعمل المتكلم (كاذب)[٣٢] .

وسأتناول بالبحث الدلالة الصرفية عند الخليل بن احمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني، وسأخص الأخير بوقفة متأنية كونه توسع في التصدي لها وأسهب في تناول موضوعاتها وتحدث عن أنواعها .

الخليل بن أحمد الفراهيدي

لا يخفى على احد ما للخليل بن احمد الفراهيدي من اثر بارز في الدراسات النحوية من خلال المادة النحوية التي نسبها سيبويه اليه في الكتاب ، والرائد في الدراسات الصرفية من خلال المادة الموجودة في معجمه العين ، وما ورد له من آراء مبثوثة في الكتب التي عنيت بالظواهر اللغوية المختلفة . اما فيما يخص الدلالة الصرفية عند الخليل ، فقد تناوله في

معجمة العين على مستويين المستوى الفعلي والمستوى الاسمي ففيما يتعلق بالمستوى الأول بدأ بذكر الأفعال ثم عرج على مصادرها ونعوتها والمشتق منها وأورد استعمالها[٣٣] .

قال في مادة (حص) : (((الحصحصة) : الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويستمكن منه . و(تحاص القوم تحاصا) : يعني الاقتسام من الحصة . والحصحصة بيان الحق بعد كتمانه . وحصحص الحق ، ولا يقال حصحص الحق ، و(الحصاص) : سرعة العدو وفي شدَة))[٣٤] ، قال في مادة (خسر) : (((الخُسْر) : النقصان ، والخُسْرانُ كذلك، والفعل : (خَسِرَ يَخْسَرُ خُسْرانًا) . و(الخاسِرُ) : الذي وضع في تجارته ، ومصدره : الخَسارَةُ ، و(الخُسْرُ) : كِلْتُهُ ووزَنْتُهُ فأَخْسَرْتُهُ ، أي : نقصته . وقوله جل وعز : ﴿ وكان عاقبةأمرها خُسْرًا ﴾[٣٥] ، أي : نقصا . و(صفقة خاسِرةٌ) ، أي : غير مربحة))[٣٦] .

في هذين النصين أورد الخليل الصيغ الفعلية وما يشتق منها من مصادر وصيغ مبالغة وأسماء . وعندما ذكر المادة الأصلية أعطى معناها ، فانا نلتمس هذا المعنى فيما يشتق منها من صيغ ، فالحصحصة هي الحركة في الشيء حتى يستقر ، وتحاص القوم اقتسموا وهذا لا يأتي الا بعد حركة واستقرار واتفاق ، والحصحصة بيان الحق بعد كتمانه ، وهذا لا يكون الا بحركة، وتفتيش وتنقيب . حتى يستقر الأمر ، والحصاص سرعة العدو في شدة ، وهذا لا يخرج عن المعاني السابقة بالقاسم المشترك للحركة .

ومع هذا فإنه لا يمكن تعميم هذه المسألة على جميع ما ورد في (العين) من مادة أصلية للكلمات ، اذ يلخص ان زيادة المورفيمات الوحدات الصرفية تؤدي الى تغير المعنى او اتساعه وشموله وتأكيده .

وقد يصل الخليل الى معاني بعض الصيغ المشتركة من خلال الفعل ويهتم بتبادل الصيغ[٣٧] وحلول احدها مكان الأخرى فصيغة فعيل قد تحل مكان صيغة مفعول ، قال الخليل في مادة (حق) : (((الحقُّ) نقيض : الباطل ، (حقَّ الشيْء يَحِقُّ حَقّاً) ، أي : وَجَبَ وُجُوباً . وتقول : (يُحِقُّ عليكَ أنّ تفعَلَ كذا ، و(أنتَ حقيقٌ على أن تفعلَه) . و(حَقِيقٌ) ، فَعيلٌ في موضع مفعول . وقول الله ﷻ : ﴿ حقيق على أن لا أقول ﴾[٣٨] ، معناه : مَحقوق كما تقول : واجب. وكلُّ مفعُول رُدَّ إلى فَعيل فمذكَّره ومُؤنّثه بغير الهاء ، وتقول للمرأة : (أنتِ حقيقةٌ لذلك ، وأنتِ مَحقوقةٌ)))[٣٩] .

ومن تبادل الصيغ حلول صيغة (انفعل) مكان (استفعل) قال الخليل في مادة (حمق) : (((استَحْمَقَ الرجلُ) : فَعَلَ فِعْلَ الحَمْقَى . و(امرأةٌ مُحْمِقٌ) : تَلِدُ الحَمْقَى . و(فَرَسٌ مُحْمِقٌ) : لا يَسْبِقُ نَتاجُها . و(حَمَقَ حَماقة وحُمْقاً) : صارَ أحمَقَ . و(الحُماقُ) : الجُدَرِيّ . يقال منه : (رَجُلٌ مَحمُوقٌ) . و(انحَمَقَ) في معنى : استَحْمَقَ))[٤٠] .

أما المستوى الاسمي ، فقد حاول من خلاله ان يصل الى الصفات والصيغ المشتقة منه نحو صيغ المبالغة مثلا[٤١] . قال الخليل في مادة (درك) الشيء : (((الدَّرَكُ) : إدْراكُ الحاجة والطلبة ، ... و(الدَّرَك) : أسفل قعر الشيء . و(الدَّرَك) : واحد من أَدْراك جهنم من السبع . و(الدَّرْك) : لغة في الدَّرَك الذي هو من القعر ... و(الدِّراك) : إتباع الشيء بعضه على بعض في كل شيء ، يطعنه طعناً دركاً متداركاً تباعاً ، أي : واحداً إثر واحد ، وكذلك في جري الفرس ، ولحاقه الوحش. قال الله تعالى : ﴿ حتى إذا اداركوا فيها جميعًا ﴾[٤٢] ، أي : تداركوا ، أدرك آخرهم أولهم فاجتمعوا فيها))[٤٣] .

ومن خلال هذا المستوى يصل الخليل في حديثه عن المصدر إلى الاستعمال الخاص لصيغة من الصيغ الاسمية كالصفة المشبهة التي استعملت استعمال الاسم . ويصل الى الدلالة الخاصة الاستعمال[٤٤] ، قال في مادة (رفق) : (((الرِّفقُ) : لبن الجانب ولطافة الفعل ، وصاحبه : (رفيقٌ) ، وتقول : (ارفُقْ وترَفَّقْ ورفقاً) ، معناه : ارفُقْ رِفقاً ، ولذلك نُصِبَ ، و(رَفَق رِفقاً) ... و(رفيقُكَ) : الذي تجمعه وإياك رُفْقَةٌ واحدة ، في سفر يُرافقكَ ، فإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، ولا يذهب اسم الرفيق ، وتسمى الرفقة ما داموا منضمين في مجلس واحد ومسير واحد ، و(قد تَرافَقُوا وارتفَقُوا فهم رفقاء) ، الواحد رفيق ، قال الله تعالى : ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾[٤٥] ، أي : رفقاء في الجنة))[٤٦] .

وقد يصل من خلال هذا المستوى الى الفعل المتروك استعماله فالوداع مصدره ودع والتوديع مصدر (ودع) فالأول بالتخفيف والثاني بالشديد لعين الفعل[٤٧] . قال الخليل في مادة (ودع) : ((و(الوَادع) : توديعُك أخاك في المسير . و (الوَداعُ) : التَّرْك والقِلَى ، وهو توديعُ الفِراق ، والمصدر من كلٍّ : (توديع) ، قال:

غداة غدٍ تودّع كلّ عين بها كُحُلٌ وكلّ يدٍ خضيبِ

وقوله تعالى : ﴿ ما ودَّعَكَ ربُّك وما قَلَى ﴾ ، أي : ما تَرَكَكَ . و(المودوعُ) : المودَّع . قال :

إذا رأيت الغرب المودوعا

والعرب لا تقول : (وَدَعتُهُ فأنا وادع) . في معنى : تركتُه فأنا تارك . ولكنّهم يقولون في الغابر : (لم يدع) ، وفي الأمر: (دعْه) ، وفي النّهي : (لا تدعه) ، إلاّ أن يُضطّر الشّاعرُ ، كما قال :

وكانَ ما قدّموا لأنفُسِهِمْ أكْثَرَ نفعاً منَ الّذي وَدَعُوا))[٤٨] .

سيبويه

سيبويه التلميذ الأول الرائد الدراسات النحوية واللغوية للخليل بن احمد الفراهيدي . حوي كتابه على مباحث صرفية كثيرة تناول فيها ما عن له من مسائل صرفية مختلفة ، ولأهمية هذه المسائل فقد ألفت كتبا فيها . اما في هذا البحث سأقتصر على مسألة مهمة تناولها سيبويه وهي دلالة الحركات الإعرابية على معان خاصة وان كانت هذه المسألة الصق بالدلالة النحوية إلا أني ارتأيت تناولها هنا لان الحركات أنواع من حيث الدلالة ، فالحركات الداخلية تغير المعنى والحركات الخارجية تغير المعنى أيضًا ، وما دام التغير جار في الاثنين ، فلا بأس في تناول النوع الثاني في الدلالة الصرفية . قال سيبويه في باب يختار فيه الرفع : ((له علم علم الفقهاء ، وله رأي رأي الأصلاء ، وانما كان الرفع في هذا الوجه لان هذه خصال تذكرها في الرجل ، كالحلم والعلم والفضل ، ولم ترد ان تعبر بأنك مررت برجل في حال التعلم ولا تفهم ، ولكنك أردت ان تذكر الرجل بفضل فيه ، وان تجعل ذلك خصلة قد استكملها ، كقولك : (له حسب حسب الصالحين) ، لان هذه الأشياء وما يشبهها صارت تحليه عند الناس وعلامات ... وان شئت نصبت فقلت : (له علم علم الفقهاء) وكأنك مررت به في حال تعلم وتفقه ، وكأنه لم يستكمل أن يقال : له عالم .... وإذا قال له صوت صوت حمار ، فإنما اخبر انه مر به وهو يصوت صوت الحمار . وإذا قال : له علم علم الفقهاء ، فهو يخبر عما قد استقر فيه قبل رؤيته وقبل سمعه منه، او رآه يتعلم فاستدل بحسن تعلمه على ما عنده من العلم ، ولم يرد ان يخبر انه انما بدا في علاج العلم في حال لغيه اياه ، لان هذا ليس مما يثنى به ، وانما الثناء في هذا الموضع ان يخبر . بما استقر فيه ، ولا يخبر ان امثل شيء كان منه التعلم في حال لقائه))[٤٩] .

في هذا النص فرق سيبويه بين المعاني المختلفة بوساطة الحركات الإعرابية ، فالمعنى يتغير بتغير حركة الحرف الأخير للكلمة واتى بأمثلة تدعم رأيه ، فله علم علم الفقهاء، وله رأي رأي الاصلاء ، وله حسب حسب الصالحين ، وله صوت صوت حمار ، تدل على معنى محدد ان الرجل الموصوف قد استكمل هذه الخصال . وصارت تحليله له عند الناس وعلامات يميز بها ، 'أي انها ليست خصال وقتية ، وهذا لا يكون الا في حالة رفع (علم) ، و(راي) ، و(حسب) ، و(صوت) . اما في حالة نصب هذه الكلمات فالمعنى يتغير ويتبدل ، ويكون الرجل الموصوف قد امتلك ما وصف به في حالة مرور المتكلم به ، أي انه لم يستكمل العلم والرأي والحسب والصوت بعد ؛ لان هذا الأمر مشروط بمرور المتحدث ، ولا يكون هذا الا في حالة النصب وما ساقه سيبويه هنا يمثل غاية في الدقة التعبيرية ، ورد على كل الذين زعموا ان الحركات الإعرابية لا تدل على معان [٥٠] .

ابن جني :

يعد ابن جني من ابرز علماء العربية تناولا للموضوعات الصرفية وعرضا لدقائقها في مختلف كتبه التي وصلت إلينا ، وله ذخيرة كبيرة من المادة الصرفية وضعها في تناوله لمختلف ظواهر اللغة، وتحدث عن الدلالة وأنواعها في فصول متعددة في كتابه الخصائص[٥١] الدلالة عند ابن جني على ثلاثة مراتب في القوة والضعف ، وهي الدلالة اللفظية ، وقصد بها الدلالة الصوتية ، والدلالة الصناعية ، وقصد بها الدلالة الصرفية والدلالة المعنوية قصد بها الدلالة المعنى وقدم الدلالة الصوتية ثم الدلالة الصرفية ثم الدلالة المعنى . قال ابن جني في باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية : ((اعلم ان كل واحدة من هذه الدلائل معتد مراعى مؤثر ، الا انها في القوة والضعف على ثلاثة مراتب : فأقواهن الدلالة اللفظية ، ثم تليها اللفظية ، ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية . ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض . فمنه جمع الأفعال ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ، الا ترى الى قام ، دلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه ، ودلالة معناه على فاعله . فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه . وانما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل انها وان لم تكن لفظا فانها صورة يحملها ، ويخرج عليها ويستقر على المنال المعتزم بها فلما كانت كذلك لحقت بحكمة ، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به ، فدخلا بذلك في باب المعلوم والمشاهدة))[٥٢]. فالدلالة الصرفية او الصناعية عند ابن جني ، هي دلالة البناء او الصيغة الصرفية ، فدلالة قام بلفظه(بحروفه) دلالة وظيفة مطردة على القيام والحدث[٥٣].

وان هذه الدلالة تستمد قوتها من الدلالة الصوتية (اللفظية) من قبل أنها إطار اللفظ او القالب الذي تصب فيه الألفاظ وتبنى على منواليه[٥٤].

لاحظ ابن جني في كثير من الصيغ الصرفية فروقا في الدلالة بسبب زيادة بعض الوحدات الصرفية (المورفيمات) في أول الصيغ او أوسطها على الحروف الأصلية او على الجذر الأصلي ، فصيغة (فعل) إذا زيدت الهمزة في أولها تحولت الى صيغة أخرى هي (أفعل) مختلفة الدلالة عنها ف (أدخل) و (أخرج) ، تجعل الفاعل مفعولا ، وتفيد ان هناك من دفعه إلى الدخول والخروج ، و(دخل) و(خرج) تفيد دخول وخروج الفاعل بمحض ارادته . فزيادة الهمزة كان لها تأثير على المعنى الصرفي[٥٥]. قال ابن جني : ((فافعل للنقل وجعل الفاعل مفعولا ، ، نحو دخل ، وأدخلته ، وخرج ، وأخرجته))[٥٦] . ورأى أيضًا ان زيادة الهمزة على الصيغ قد تفيد ان الشيء وصل غايته ، فإذا قلت (أحصد الزرع) عنيت ان الزرع قد نضج وان وقت حصاده ، فزيادة الهمزة غيرت دلالة الفعل ، ورأى أن زيادة الألف في وسط الكلمة تعطي دلالة جديدة ، هي المشاركة في الفعل من اثنين او اكثر لا من واحد نحو قاتل وشارك قائلا: ((ويكون أيضًا للبلوغ ، نحو احصد الزرع ، وأركب المهر ،

واقطف الزرع ، ولغير ذلك من المعاني . واما فاعل فلكونه من اثنين فصاعدا ، نحو ضارب زيد عمرا ، وشاتم جعفر بشرا))[٥٧].

ونص على ان تضعيف العين في صيغة (فعل) قد يأتي للدلالة على تكثير الفعل نحو: غلق الأبواب ، وقطع الحبال ، وكسر. الجرار[٥٨] .

ولاحظ ابن جني بحسه الذواق ان المعنى يقوى بقوة لفظه قائلا : ((خشن واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ... وكذلك قولهم : أعشب المكان ، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : اعشوشب . ومثله حلا واحلولى ، وخلق واخلولق ، وغدن واغدودن))[٥٩] .

فتكرار مورفيم العين وزيادة مورفيم الواو نقل صيغة (فعل) الى صيغة (أفعوعل) مع قوة المعنى وزيادته فمعنى خشن واعشب وحلا وخلق وغدن دون معنى اخشوشن واعشوشب واحلولا واخلولق واغدودن . ومثل هذا فعل وافتعل نحو قدر واقتدر وكسب واكتسب : ((ومثله باب فعل وافتعل نحو قدر واقتدر . فاقتدر اى معنى من قولهم قدر ... قال الله سبحانه : ﴿ أخذ عزيز مقتدر ﴾[٦٠]. فمقتدر هنا اوفق من قادر ، من حيث كان الوضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ وعليه عندي قول الله ﷻ : ﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾[٦١] وتأويل ذلك ان كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة امر يسير ومستصغر وذلك لقوله عز اسمه : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثلها ﴾[٦٢]. أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها الى أجزائها ، صغر الواحد الى العشرة ، ولما كان جزاء السيئة انما هو بمثلها لم تحقر الى الجزء عنها ، فعلم بذلك قوة فعل السيئة عن فعل الحسنة؛ ولذلك قال تبارك وتعالى : ﴿ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدًا ﴾[٦٣]. فإذا كان فعل السيئة ذاهبا بصاحبه الى هذه الغاية البعيدة المترامية ، عظم قدرها ، فخم لفظ العبارة عنها ، فعيل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . فزيد في لفظ فعل السيئة ، وانتقص من لفظ فعل الحسنة))[٦٤].

فمعنى المبالغة واضح جلي في ما ذكره ابن جني ، وطوال ابلغ من طويل ، وعراض ابلغ من عريض ، وخفاف ابلغ من خفيف وقلال ابلغ من قليل ، وسراع ابلغ من سريع ، وهذا لم يأتي جزافا وإنما بإبدال (فونيم) الياء في صيغة (فعيل) بفونيم الإلف في صيغة (فعال).

وقد أدرك ابن جني الوظيفة الدلالية للحركات وبين انها مورفيمات لا تقل عن الحروف في بيان الفروق الدلالية وتميزها فصيغة (مفعل) اذا كانت الميم الزائدة فيها مفتوحة دلت على الحدث ، وان الشيء ثابت ، أي تكون الصيغة مصدرا . وإذا كانت هذه الميم مكسورة دلت على اسم آلة غير ثابت[٦٥]. قائلا : ((وسبب امتناع مفعل ومفعل ان يكونا

ملحقين أن كانا على وزن جعفر ، وهجرع ان الحرف الزائد في أولهما ، وهو لمعنى وذلك ان مفعلا يأتي للمصادر نحو ذهب مذهبا ، ودخل مدخلا ، وخرج مخرجا ، ومفعلا يأتي للدلات ، والمستعملات ، نحو مطرق ، ومروج ، ومحصد ، ومئزر فلما كانت الميمات ذواتي معنى حسوا أنهم الحقوا المعنى المقصود بهما ان يتوهم ان الغرض فيهما انما هو الإلحاق حسب ، فيستهلك المعنى المقصود بها . فتحاموا الإلحاق بهما يكون ذلك موفق على المعنى لهما))[٦٦] . وقال ايضا : ((ومن ذلك قولهم للسلم مرقاة , وللدرجة مرقاة فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي ، وكسر الميم يدل على انها مما ينقل ويعتمل علية وبه كالمطرقة والمأزر والمنجل ، وفتحة ميم مرقاة تدل على انه مستقر في موضعة ، كالمنارة والمثابة))[٦٧] . فالفتحة والكسرة ــ فيما ذكره ابن جني هما مورفيمان لهما تأثيرهما في توجيه معنى الصيغ وتبين الفروق الدلالية بينها وقد وضح هذا الأمر في صيغتي (مفعل) و(مفعل) .

وقد لحظ ابن جني ان لحروف المضارعة[٦٨] وان كانت تتساوى في إفادة الحال او الاستقبال للفعل الذي تزاد عليه ــ وظيفة دلالية أخرى ــ هي الدلالة على الفاعل في (افعل) التي تعني ان الفاعل هو المتكلم مفردا بدليل وجود الهمزة ، والنون في (تفعل) دليل على ان الفاعل مفرد مؤنث غائب او مفرد مذكر مخاطب حسب السياق والياء في " يفعل " دليل على ان الفاعل مفرد مذكر غائب قائلا : ((يدلل على تمكن المعنى في أنفسهم ـــ العرب ــ وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لصرف المعنى في أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به فقدموا دليله ليكون ذلك إمارة لتمكنه عندهم . وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل . اذ كل دلائل على الفاعلين : من هم ، وما هم ، وكم عدتهم نحو : افعل ، ونفعل ، وتفعل ، ويفعل)[٦٩] . وبهذا يبدو ان ابن جني قد أدرك القيمة الدلالية للمورفيم قبل ان يدركها علم اللغة الحديث[٧٠].

فما ذكره ابن جني هنا يمثل غايته في الدقة التعبيرية ، فزيادة مورفيم التاء في صيغة (فعل) نقلها إلى صيغة (أفتعل) وهي أقوى منها في الدلالة التعبيرية ، فاقتدر أقوى من قدر ومقتدر أقوى وأوفق من قادر من حيث التفخيم للأمر وشدة الأخذ ، واكتسبت أقوى في المعنى من كسب ، فالله ﷻ استعمل صيغة (افتعل) ؛ لان المقام يقتضي التعظيم والتفخيم كون فعل السيئة أمر مهول وجسيم ، فهذه الصيغة تناسب الفعل او الأمر المهول والفظيع ، وأعطى الحسنة صيغة (فعل) لان فعل الحسنة دون فعل السيئة ولذلك انتقص من لفظها .

فزيادة مورفيم ما على الصيغ الصرفية يحولها الى صيغة أخرى ويعطيها دلالة جديدة تفيد المبالغة قال ابن جني : ((رجل جميل، ووضئ ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا : وضاء ، وجمال ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه))[٧١]. فسبب هذه الزيادة

التي حدثت في الصيغة أخذت دلالة جديدة أفادت المبالغة فجمال ووضاء أبلغ وأقوى من جميل ووضئ .

ويدخل في هذا الباب العدول من صيغة فعال الى صيغة فعيل ، وهذا العدول يفيد المبالغة قال ابن جني: ((تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله . وذلك فعال في معنى فعيل ، نحو طوال ، فهو ابلغ معنى من طويل ، وعراض ، فانه ابلغ معنى من عريض . وكذلك خفاف من خفيف ، وقولال من قليل ، وسراع من سريع. ففعال لعمري وان كانت اعم من فعيل في باب الصفة ، فان فعيل اخص بالباب من فعال الأ تراه اشد انقياد منه، نقول جميل ولا تقول: جمال وبطئ ولا نقول بطاء ، وشديد ولا تقول شداد ، ولحيم وغريض ولا يقال لحام وغراض . كلما كانت فعيل هي البال المطرد وأريدت المبالغة ، عدلت إلى فعال))[٧٢] .

هوامش البحث وقائمة المصادر

(١) في فقه اللغة وقضايا العربية ، د . سميح أبو معلي ، دار مجدلاوي الطبعة الأولى ، عمان الأردن ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٧٨م ، ص ٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ٧٥

(٣)المصدر نفسه ٧٧

(٤)المصدر نفسه٧٧ .

(٥)مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، دار البيضاء المغرب، ١٤٠٠هـ ١٩٧٩ م ، ص ١٥٨ .

(٦) في فقه اللغة وقضايا العربية ٧٧.

(٧)محاضرات الدكتور خليل العطية في علم الدلالة على طلبة الدراسات العليا (مدونتي) ألقاها في كلية التربية للبنات ٣ .

(٨) في فقه اللغة وقضايا العربية ٧٨.

(٩) اللغة لفندريس ، ترجمة محمد القصاص وعبد الحميد الدواخلي ، مصر ١٩٥٠، ص ١٠٥ .

(١٠) مناهج البحث في اللغة ٢٠٤

(١١) في فقه اللغة وقضايا العربية ٧٩، ٨١

(١٢) محاضرات الدكتور خليل العطية في علم الدلالة على طلبة الدراسات العليا ورقة ٣

(١٣) في فقه اللغة وقضايا عربية ٩٠

(١٤) اللغة ١٠٧ ــ ١١٢

(١٥) في فقه اللغة وقضايا عربية ٩٦

(١٦)المصدر نفسه ٩٦، ٩٧

(١٧)علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د . محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (د. ت) ، ص ٢٢٢ .

(١٨) في فقه اللغة وقضايا العربية ٩٥ ، وينظر الدلالة الصرفية في شعر لبيد بن ربيعة العمري ، رسالة ماجستير ١٩٩٤م ص ٢٣

(١٩)المصدر نفسه ٩٧،٩٨

(٢٠)المصدر نفسه ٩٨، وينظر الدلالة الصرفية في شعر لبيد العامري ص ١٠١، ١٠٢

(٢١) في فقه اللغة وقضايا العربية ٩٩، وينظر الدلالة الصرفية في شعر لبيد العامري ص ٦٣

(٢٢)المصدر نفسه ١٠٠

(٢٣)المصدر نفسه ١٠٠، ١٠١ وينظر الدلالة الصرفية في شعر لبيد ص١٠٥، ١٠٦

(٢٤) اللغة ١٠٤، وينظر في فقه اللغة ، ١٠١، ١٠٢

(٢٥) في فقه اللغة ١٠٢

(٢٦) الدلالة الصرفية في شعر لبيد بن ربيعة العامري ص١٠٥

(٢٧)علم الدلالة للدكتور احمد مختار عمر ، الطبقة الأولى ، دار العروبة الكويت ١٩٨٢ ، ص ١١

(٢٨)دلالة الألفاظ ، د.إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مصر ، ص ٤٦ – ٤٨

(٢٩)المصدر نفسه ٤٧، الدلالة الصرفية في شعر لبيد العامري ورقة ص٥

(٣٠) علم الدلالة (د. احمد مختار عمر)١٣

(٣١)الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ، عبد الكريم مجاهد بحث نشر في مجلة الفكر العربي ، العدد السادس والعشرون السنة : الربعة، آذار ١٩٨٢م ٨٠

(٣٢) دلالة الألفاظ ٤٧

(٣٣) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين ، الدكتور احمد نصيف الجنابي ، نشر ضمن المعجمية العربية ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٩٢ ، ص١٧٧.

(٣٤)العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد ، مادة (حص) ١٣/٣

(٣٥) سورة الطلاق آية ٥٩

(٣٦) العين مادة (خسر) ١٩٥/٤

(٣٧) منهج الخليل في الدراسة القرآنية في كتاب العين (بحث) ص١٧٩

(٣٨) سورة الأعراف آية ١٠٥

(٣٩) العين مادة (حق) ٦/٣

(٤٠) العين مادة (حمق) ٥٦/٣

(٤١) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث) ص ١٨٠

(٤٢) سورة الأعراف آية ٣٨

(٤٣) العين مادة (درك) ٣٢٨/٣٢٧/٥

(٤٤) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث) ص ١٨٠

(٤٥) سورة النساء آية ٦٩

(٤٦) العين مادة (رفق) ١٤٩/٥

(٤٧) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين (بحث) ص ١٨٢

(٤٨) العين مادة (ودع) ٢٢٣،٢٢٤/٢

(٤٩)الكتاب لأبي بشر سيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م ، ص ٣٦١/١ ، ٣٦٢ .

(٥٠) وللتفصيل في هذه المسالة والإطلاع على آراء وحجج الذين نصوا على أن الحركات الإعرابية دوال على معان مختلفة وآراء وحجج الذين أنكروا دوالها على معان ينظر : إبراهيم أنيس وجهوده اللغوية ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، تقدم بها علاوي سادر جازع ، ١٩٩٤ص ١٨٤– ٢٠٩ .

(٥١) الخصائص صنعه ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٠م ١/ ٢١٦ (باب في الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني) ، ٣/ ١٠٠ (باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية) ، ٣/ ٢٦٧ (باب في القوة اللفظ لقوة المعنى).

(٥٢) الخصائص ٣/ ١٠٠

(٥٣) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ٨٠ (بحث)

(٥٤) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ٨٠

(٥٥)المصدر نفسه ٨٢

(٥٦)المصدر نفسه ٢٢٤/١

(٥٧)المصدر نفسه ١/ ٢٢٤

(٥٨)المصدر نفسه ١/ ٢٢٤

(٥٩)المصدر نفسه ٣/ ٢٦٧

(٦٠) سوره القمر آية ٤٢

(٦١) سوره البقرة آية ٢٨٦

(٦٢) سوره الأنعام آية ١٦

(٦٣) سوره مريم آية ٩٠، ٩١

(٦٤) الخصائص ٣٠/ ٢٦٨

(٦٥) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ٨٣ (بحث)

(٦٦) الخصائص ١/ ٢٢٥

(٦٧) المصدر نفسه ٣/ ١٠٢

(٦٨) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ص ٨١ (بحث)

(٦٩) الخصائص ١/ ٢٢٦

(٧٠) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني ص ٨١ (بحث)

(٧١) الخصائص ٢٦٩/٣

(٧٢)المصدر نفسه ٢٧٠/٣، ٢٧١